بالإسنادِ المتقدِّم عن عبد الملك بن هشام قال: حدَّثنا زياد بن عَبْد الله الْبَكَّائِيُّ، عن محمد بن إسحاق المطلبيِّ، قال:

قَدِمَ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة يوم الاثنينِ حين اشتدَّ الضَّحَاءُ، وكادت الشمس تعتدلُ، لِاثْنَيْ عَشْرَةَ لَيلةً مضتْ من شهر ربيع الأول، وهو التاريخ فيما قال ابن هشام [٤٦٨].

مدة إقامة النبي بالمدينة من غير حرب

قال ابن إسحاق: ورسولُ الله ـ ﷺ ـ يومئذٍ ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً، وذلك بعد أن بعثه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بِثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فأقام بها بقية شهر ربيع الأول، وشَهْرِ ربيع الآخر، وجُمَادَيَيْنِ، وَرَجَباً، وشَعْبانَ، وشَهْرَ رمضان، وشَوَّالاً، وذا القَعْدة، وذا الحِجَّة، وَوَلِيَ تلك الحجة المشركون، والمحرَّمَ.

أوّل والٍ على المدينة

ثم خرج غازياً في صَفَرٍ على رأس اثني عشر شهراً من مَقْدَمِهِ المدينةَ [٤٦٩].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سَعْدَ بن عُبَادَةَ.

غزوة ودَّانَ

وهي أول غَزَوَاته، عليه السلام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ وَدَّانَ[(١)]، وهي غزوة الأَبْوَاءِ[(٢)]، يريد قُرَيْشاً وبني

---

[٤٦٨] ذكره ابن جرير في تاريخه (٢/ ٣٩٢) والبيهقي في دلائله (٢/ ٥٠٣) نقلاً عن ابن إسحاق.
وانظر البداية والنهاية (٣/ ٢٥٣) وابن سعد في طبقاته (٢/ ٨) وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٦٩).

[٤٦٩] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٣) والدلائل للبيهقي (٣/ ١٠ ـ ١١) والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٩٧) والدرر (ص ٩٠) لابن عبد البر.
وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٤).

---

(١) وَدَّان ـ بفتح الواو وتشديد الدال المهملة في آخره نون ـ وهي قرية جامعة من عمل الفُرْع.

(٢) الأبواء ـ بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمدّ ـ قرية بين مكّة والمدينة، قيل سميت بذلك لِما فيها من الوباء ولو كان كما ذكر لكانت الأَوباء، أو يكون مقلوباً به، والصحيح أنها سُمِّيت بذلك لتبوىء السيول بها، قاله ثابت بن قاسم. =

ضَمْرَةَ بْنِ بكر بن عبدِ مَنَاةَ بن كِنَانَةَ، فَوَادَعَتْهُ فيها بنو ضَمْرَةَ، وكان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشِيَّ بن عمرو الضَّمْرِي[1]، وكان سيِّدَهم في زمانه ذلك، ثم رجع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة، ولم يَلْقَ كَيْداً[2]، فأقام/ (١٢٢/ب) بها بقية صَفَرٍ، وصدراً من شهر ربيع الأول [٤٧٠].

قال ابن هشام: وهي أولُ غَزْوَةٍ غَزَاها.

سريَّةُ عُبَيْدةَ بْنِ الحَارِثِ

وهي أول رايةٍ عَقَدَها، عليه السلام.

أول سهم رمى به في الإسلام

قال ابن إسحاق: وبَعَثَ رسول الله ـ ﷺ ـ في مُقَامِهِ ذلك بالمدينةِ عُبَيْدَةَ بن الحارث بن المُطلَّب بن عبدِ مَنَافِ بن قُصَيٍّ في ستِّين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، وليس فيهم من الأنصار أَحَدٌ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجازِ بأَسفَلِ ثَنِيَّةِ المَرْوَة، فلقي بها جمعاً عظيماً من قُرَيْشٍ، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سَعْدَ بن أبي وقَّاص قد رَمَىٰ يومئذ بسَهْم، فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام، ثم انصرف القوم عن القومِ، وللمسلمين حَامِيَةٌ[3].

قائد المشركين في هذه السرية

وفَرَّ من المشركين إلى المسلمين المِقْدادُ بن عمرو الْبَهْرَانِيُّ حليفُ بني زُهْرَةَ، وعُتْبَةُ بن غَزْوَانَ بن جابر المازنيُّ حليفُ بني نَوْفَلِ بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمَيْنِ ولكنهما

---

[٤٧٠] انظر السابق.

= قال أبو عمرو: أقام رسول الله ـ ﷺ ـ بالمدينة باقي ربيع الأول، الشهر الذي قَدِم فيه، وباقي العام كله إلى صفر، من سنة اثنتين من الهجرة، ثم خرج غازياً في صفر، وحمل لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان لواءً أبيض، واستعمل على المدينة فيما قال أبو سَعْد وأبو عمر: سَعْدَ بن عُبادة، وخرج بالمُهاجرين ليس مِنهم أنصاريّ يعترض عِيراً لقريش فلم يلق كيداً، ووادَع بني ضمرة بن عبد مناة بن كنانة وعقد ذلك معه سيدهم.

(١) مَخشِيّ ـ بفتح الميم وإسكان الخاء وكسر الشين المعجمتين ثم ياء مشددة كياء النَّسَب ـ: لم أَر مَنْ ذَكر له إسلاماً.

(٢) لم يَلْقَ كَيْداً، أي: لم يَلْقَ حَرْباً.

(٣) حامِيةً يعني: فُرساناً يَحْمُون آخرَهم.

خرجا ليتوصَّلاَ بالكُفَّار، وكان على القوم عِكْرَمَةُ بن أبي جَهْلٍ [٤٧١].

قال ابن هشام: حدَّثني ابن أبي عمرو بن العَلاَءِ، عن أبي عمرو المدنيِّ، أنه كان عليهم مِكْرَزُ بن حَفْص بن الأَخْيَفِ أحدُ بني مَعِيصِ بن عامر بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْرٍ.

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في غزوة عُبَيْدَةَ بن الحارث.

قصيدة تنسب لأبي بكر رضي الله عنه

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلْمِ بالشعر ينكر[١] هذه القصيدة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ [من الطويل]:

أَمِنْ طَيْفِ سَلْمَىٰ بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ ... أَرِقْتَ وَأَمْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ؟[٢]

تَرَىٰ مِنْ لُؤَيٍّ فُرْقَةً لاَ يَصُدُّهَا ... عَنِ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلاَ بَعْثُ بَاعِثِ

رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ، وَقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَاكِثِ

إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا ... وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجْحَرَاتِ اللَّوَاهِثِ[٣]

فَكَمْ قَدْ مَتَنَّا فِيهِمُ بِقَرَابَةٍ ... وَتَرْكُ الثُّقَىٰ شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ[٤]

فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ ... فَمَا طَيِّبَاتُ الْحِلِّ مِثْلَ الْخَبَائِثِ

وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلاَلَهُمْ ... فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلاَبِثِ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ ... لَنَا الْعِزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الأَثَائِثِ[٥]

فَأُولِي بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً ... حَرَاجِيجُ تُحْدَىٰ فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ[٦]

---

[٤٧١] انظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٠٤) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١).
وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٩٨).

---

(١) قال الشيخ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: وممَّا يُقَوِّي قول ابن هشام في هذا ما رُوِيَ من حديث الزُّهْريِّ عن عُروة عن عائشة أنها قالت: كَذَبَ من أخبركم أنَّ أبا بكر قال بيت شعرٍ في الإسلام.

(٢) الدَّمائث: الرِّمال اللَّيِّنة، وأرِقتُ معناه: أمتَنَعتُ من النوم.

(٣) هَرُّوا: معناه وَثَبوا كما تَثِب الكِلاب، والمُجْحَراتُ، يعني: الكلابُ التي أُجحِرَت وأُلجِأت إلى مواضِعها، واللَّواهِث، أي: الَّتي أخرجت ألْسِنَتَها وتابَعَتْ أَنْفَاسَهَا.

(٤) مَتَنَّا: أي: اتَّصَلْنا، غيرُ كارِثٍ أي: غيرُ مُحْزِنٍ.

(٥) الأثايث: هي الكثيرة المجتمعة.

(٦) أُولي معناه: أَحْلِفُ وأُقسِمُ، والرَّاقِصات يعني: الإبل، والرَّقص: ضَربٌ من المَشي، وحَراجِيجُ يعني: طوالاً واحدُها حُرْجوجٌ، ومَن رَواه: عَناجيج فهي الجِسانُ، وتُحْدَى، أي: تُسْرع، والسَّريحُ: قِطَعُ جُلودٍ تُرْبَط على أَخْفافِها مَخافَةَ أَنْ تُصِيبَها الحِجارةُ، والرَّثائِثُ يعني: البالِيةَ الخَلِقةَ.

كَأُدْمِ ظِبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكَّفِ ... يَرِدْنَ حِيَاضَ الْبِئْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ[1]

لَئِنْ لَمْ يُفِيقُوا عَاجِلاً مِنْ ضَلاَلِهِمْ ... وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلاً بِحَانِثِ

لَتَبْتَدِرَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقٍ ... تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ[2]

تُغَادِرُ قَتْلَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... وَلاَ تَرْأَفُ الْكُفَّارَ رَأْفَ ابْنِ حَارِثِ[3]

فَأَبْلِغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً ... وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثِ

فَإِنْ تَشْعَثُوا عِرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ ... فَإِنِّيَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثِ[4]

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ، فقال: [من الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَثَاعِثِ ... بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لاَبِثِ؟[5]

وَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ والدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتِ وَحَادِثِ

لِجَيْشٍ أَتَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعَى فِي الْهِيَاجِ ابْنَ حَارِثِ[6]

لِنَتْرُكَ أَصْنَاماً بِمَكَّةَ عُكَّفاً ... مَوَارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيمٍ لِوَارِثِ

فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وَجُرْدٍ عِتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ لَوَاهِثِ[7]

وَبِيضٍ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بِأَيْدِي كُمَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَائِثِ[8]

نُقِيمُ بِهَا إِضْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلاً ... وَنَشْفِي الذُّحُولَ عَاجِلاً غَيْرَ لاَبِثِ[9]

فَكَفُّوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ ... وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرٌ لَهُمْ أَمْرُ رَائِثِ[10]

---

(١) كأُدْم ظِباءٍ: الأُدْمُ من الظِّباء: السُّمْرُ الظُّهورِ البيضُ البُطون. وعُكَّفٌ، أي: مُقيمةٌ. والنبائث: هو جَمْعُ نَبِيثَةٍ وهي تُرَابٌ يخرج من البئر إذا نُقِبَتْ.

(٢) الطوامِثُ: هو جَمْعُ طامِثٍ، وهي الحائِضُ.

(٣) تَعْصِب الطيرُ معناه: تَجْتَمِع، ولا تَرأَفُ أي: لا تَرْحَمُ.

(٤) فإن تَشْعَثُوا معناه: تَغَيَّروا وتَفَرَّقوا. وينظر بعض من أبيات هذه القصيدة في البداية والنهاية (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩).

(٥) العَثَاعِثُ: أكْداسُ الرَّمْل التي لا تُنْبِتُ شيئاً، واحِدها عَثْعَثٌ. و «غير لابث» مَنْ رواه: غير لابِثٍ، فمعناه: غيرُ ماكِثٍ، ومن رواه: غير لائِث ـ بالهمزة، فمعناه: غير محتبس.

(٦) العُرام: الكَثْرة والشِّدّة في الهياج والهِياجُ: الحرب.

(٧) بِسُمْرٍ، يعني: رِماحاً، وَرُدَيْنَةُ: امْرَأةٌ تُنْسَب الرِّماحُ إليها، والجُرْدُ: الخيل القَصيراتُ الشَّعر، ويقال: السريعة أيضاً، والعَجاج: الغُبار، ولواهِثُ: قد تقدَّم تفسيره.

(٨) وبيضٍ، يعني: السُّيوفَ، والكُماةُ: الشُّجْعانُ. والعَوائِثُ، أي: المُفْسِدات، ومَن رَواه: العَوابث، فهو من العَبَث وهو معلوم.

(٩) يُقيم بها إضعار، ويُرْوى: أَضْغاء، ومعناهما جَمِيعاً: المَيْلُ، والذُّحول: جَمْعُ ذَحْلٍ وهو طَلَب الثَّأر.

(١٠) رائث معناه: مُبْطِىء.

وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٌ أَيَامَى لَهُمْ مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَطَامِثِ[1]
وَقَدْ غُودِرَتْ قَتْلَى يُخَبِّرُ عَنْهُمُ حَفِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاحِثِ[2]
فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضِ فِهْرٍ بِمَاكِثِ
وَلَمَّا تَجِبْ مِنِّي يَمِينٌ غَلِيظَةٌ تُجَدِّدُ حَرْباً حَلْقَةً غَيْرَ حَانِثِ[3]

قال ابن هشام: تركْنَا منها بيتاً واحداً، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرَىٰ.

قال ابن إسحاق: وقال سعد بن أبي وَقَّاصٍ في رمْيَتِهِ تلك، فيما يذكرون [من الوافر]:

أَلاَ هَلْ أَتَىٰ رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي؟
أَذُودُ بِهَا أَوَائِلَهُمْ ذِيَاداً بِكُلِّ حُزُونَةٍ وَبِكُلِّ سَهْلِ[4]
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي
وَذَلِكَ أَنَّ دِينَكَ دِينُ صِدْقٍ وَذُو حَقٍّ أَتَيْتَ بِهِ وَعَدْلِ/ (١٢٣/أ)
يُنَجَّى الْمُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُخْزَى بِهِ الْكُفَّارُ عِنْدَ مَقَامِ مَهْلِ[5]
فَمَهْلاً قَدْ غَوِيتَ فَلاَ تَعِبْنِي غَوِيُّ الْحَيِّ وَيْحَكَ يَا ابْنَ جَهْلِ[6]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد.

قال ابن إسحاق: وكانَتْ رايةُ عُبَيْدَة بن الحارث، فيما بلغني، أولَ رايةٍ عقدها رسول الله ـ ﷺ ـ في الإسلام لأحد من المسلمين.

قال ابن إسحاق: وبعض العلماء يزعُمُ أَنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ بعثه حين أقبل مِنْ غزوة الأَبْوَاءِ قبل أن يَصِلَ إلى المدينة [٤٧٢].

---

[٤٧٢] رواه البيهقي (٣/ ١٠) بسنده إلى بن إسحاق. وانظر تاريخ ابن جرير (٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥). والبداية والنهاية (٣/ ٣٠٠). وسبل الهدى والرشاد (٦/ ١١).

---

(١) أيامى: ليس لَهُنَّ أَزواجٌ. النَّسْءُ: المُتأخِّرةُ الحيضِ هنا، والطامِثُ: الحَائِضُ.
(٢) حَفِيٌّ معناه: كثيرُ السُّؤَالِ.
(٣) ينظر بعض من أبيات هذه القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ٢٩٩).
(٤) الحَزونةُ: الوَعْرُ منَ الأَرض.
(٥) عند مَقَام مَهْلٍ: أي إمْهالٍ وتَثَبُّتٍ.
(٦) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٩٩).

سرية حَمْزَة ـ رضي الله عَنْهُ ـ إلى سيفِ البَحْرِ

وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيفِ البَحْرِ[1] من ناحية الْعِيصِ[2]، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، لَيْسَ فيهم من الأنصار أَحَدٌ، فلقى أبا جهل بْنَ هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة راكِبٍ من أهل مكّة، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بن عَمْرِو الْجُهَنِيُّ وكان مُوَادِعاً للفريقَيْنِ جميعاً، فانصرف بعضُ القوم عن بعض، لم يكُنْ بينهم قتال.

وبعض الناس يقول: كانت رايةُ حَمْزَةَ أولَ روايةٍ عَقَدَهَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ لأحَدٍ من المسلمين، وذلك أَنَّ بَعْثَهُ وبَعْثَ عُبَيْدَةَ كانا معاً، فشُبِّه ذلك على الناس.

وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شِعْراً يذكر فيه أن رايته أول راية عقدها رسول الله ـ ﷺ ـ فإن كان حمزة قد قال ذلك فقد صَدَقَ إن شاء الله، لم يكنْ يقولُ إلا حقًّا، فالله أعلم أَيُّ ذلك كان.

فأما ما سمعنا مِنْ أهل العلم عندنا فعُبَيْدَةُ بن الحارث أَوَّلُ من عُقِدَ له، فَقَالَ حمزة في ذلك، فيما يزعمون [٤٧٣].

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِرُ هذا الشعر لحمزة ـ رضي الله عنه ـ [من الطويل]:

أَلاَ يَا لَقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ والْجَهْلِ ... وَلِلنَّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرِّجَالِ وَلِلْعَقْلِ
وَلِلرَّاكِبِينَا بِالْمَظَالِمِ لَمْ نَطَأْ ... لَهُمْ حُرُمَاتٍ مِنْ سَوَامٍ وَلاَ أَهْلِ[3]
كَأَنَّا تَبَلْنَاهُمْ وَلاَ تَبْلَ عِنْدَنَا ... لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَفَافِ وَبِالْعَدْلِ[4]
وَأَمْرٍ بِإِسْلاَمٍ فَلاَ يَقْبَلُونَهُ ... وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْهَزْلِ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى أَبْتَدَرْتُ لِغَارَةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِي رَاحَةَ الْفَضْلِ
بِأَمْرِ رَسُولُ اللَّهِ أَوَّلُ خَافِقٍ ... عَلَيْهِ لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لاَحَ مِنْ قَبْلِي
لِوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرَامَةٍ ... إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ

---

[٤٧٣] انظر السابق.

---

(١) إلى سِيفِ البَحْرِ، أي: ساحِله.
(٢) من ناحِيةِ العِيص، العيص هنا: مَوْضِعٌ وأصل العِيص: مَنْبِتُ الشَّجر وهو الأصل أيضاً.
(٣) السَّوامُ: الإبِلُ المُرْسَلَة في المَرْعَى.
(٤) تَبَلْناهم معناه: عادَيْناهم، والتَّبْلُ: العَداوة، ويقال: هو طَلَبُ الثأر.

عَشِيَّةَ سَارُوا حَاشِدِينَ، وَكُلُّنَا ... مَرَاجِلُهُ[1] مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي

فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَّلُوا ... مَطَايَا وَعَقَّلْنَا مَدَى عَرَضِ النَّبْلِ

فَقُلْنَا لَهُمْ: حَبْلُ الإِلٰهِ نَصِيرُنَا ... وَمَا لَكُمُ إِلاَّ الضَّلاَلَةَ مِنْ حَبْلِ

فَثَارَ أَبُو جَهْلٍ هُنَالِكَ بَاغِياً ... فَخَابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبِي جَهْلِ

وَمَا نَحْنُ إِلاَّ فِي ثَلاَثِينَ رَاكِباً ... وَهُمْ مِائَتَانِ بَعْدَ وَاحِدَةٍ فَضْلِ

فَيَالَ لُؤَيٍّ لاَ تُطِيعُوا غُوَاتَكُمْ ... وَفِيئُوا إِلَى الإِسْلاَمِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ[2]

فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمُ ... عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالثُّكْلِ[3]

فأجابه أبو جهل بن هشام فقال [من الطويل]:

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيظَةِ[4] وَالْجَهْلِ ... وَلِلشَّاغِبِينَ بِالْخِلاَفِ وَبِالْبُطْلِ

وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا ... عَلَيْهِ ذَوِي الأَحْسَابِ وَالسُّؤْدَدِ الْجَزْلِ[5]

أَتَوْنَا بِإِفْكٍ كَيْ يُضِلُّوا عُقُولَنَا ... وَلَيْسَ مُضِلاً إِفْكُهُمْ عَقْلَ ذِي عَقْلِ[6]

فَقُلْنَا لَهُمْ: يَا قَوْمَنَا لاَ تُخَالِفُوا ... عَلَى قَوْمِكُمْ إِنَّ الْخِلاَفَ مَدَى الْجَهْلِ

فَإِنَّكُمُ إِنْ تَفْعَلُوا تَدْعُ نِسْوَةٌ ... لَهُنَّ بَوَاكٍ بِالرُّزِيَّةِ وَالثُّكْلِ

وَإِنْ تَرْجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فَإِنَّنَا ... بَنُو عَمْكُمْ أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالْفَضْلِ

فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّداً ... رِضاً لِذَوِي الأَحْلاَمِ مِنَّا وَذِي الْعَقْلِ

فَلَمَّا أَبَوْا إِلاَّ الْخِلاَفَ وَزَيَّنُوا ... جِمَاعَ الأُمُورِ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْفِعْلِ

تَيَمَّمْتُهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بِغَارَةٍ ... لِأَتْرُكَهُمْ كَالْعَصْفِ[7] لَيْسَ بِذِي/ (١٢٣/ ب) أَصْلِ

فَوَرَّعَنِي مَجْدِيُ عَنْهُمْ وَصُحْبَتِي ... وَقَدْ وَازَرُونِي بِالسُّيُوفِ وَبِالنَّبْلِ[8]

لِإِلٍّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لاَ نُضِيعُهُ ... أَمِينٍ قُوَاهُ غَيْرِ مُنْتَكِثِ الْحَبْلِ[9]

---

(١) المراجِلُ: جَمْعُ مِرْجَل وهو القِدْرُ. وقال بعض اللُّغَويِّين: هو قِدْرُ النُّحاس لا غَيْرُ.

(٢) فِيئوا معناه: ارجعُوا، وفي كتاب الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. والمنْهَجُ: الطَّريق الواضِحُ.

(٣) الثُّكْلُ: الفَقْدُ والْحُزْنُ. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) الحَفيظة: الغَضَبُ.

(٥) السُّؤدد الجَزْلُ، أي: العَظِيمُ.

(٦) بِإِفْكٍ أي: كَذِبٍ.

(٧) العَصْفُ: ورق الزرع الذي يَصْفَرُّ على ساقه ويقال: هو دِقاقُ التِّبن.

(٨) فَورَّعني، أي: كَفَّني، ومنه الوَرَع عن المَحارِم إنَّما هو الكَفُّ عنها. وازرُوني، معناه: أعانوني.

(٩) لإِلٍّ أي: لِعَهْدٍ، والإِلُّ هنا: العَهْدُ، وغيرُ مُنْتَكِث، أي: غيرُ مُنْتَقِضٍ، والعُكوف: المُقيمة اللازِمة.

فَلَوْلاَ ٱبْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادَرْتُ مِنْهُمُ مَلاَحِمَ لِلطَّيْرِ الْعُكُوفِ بِلاَ تَبْلِ
وَلَكِنَّهُ آلَى بِإِلٍّ فَقَلَّصَتْ بِأَيْمَانِنَا حَدُّ السُّيُوفِ عَنِ الْقَتْلِ[1]
فَإِنْ تُبْقِنِي الأَيَّامُ أَرْجِعْ عَلَيْهِمُ بِبِيضٍ رِقَاقِ الْحَدِّ مُخْدَثَةِ الصَّقْلِ
بِأَيْدِي حُمَاةٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي فِي الْجُدُوبَةِ وَالْمَحْلِ[2]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِرُ هذا الشعر لأبي جهل، لعنه الله.

غَزْوَةُ بُوَاطَ

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسولُ الله - ﷺ - في شهر ربيع الأولِ يريد قريشاً.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائبَ بْنَ عُثْمَان بن مَظْعُونٍ[3].

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بُوَاط[4] من ناحية رَضْوَى، ثم رجع إلى المدينة ولم يَلْقَ كَيْداً[5]؛ فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى [٤٧٤].

غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ[6]

ثم غزا قريشاً، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأَسَدِ؛ فيما قال ابن هشام.

[٤٧:] ذكره ابن جرير في تاريخه (٢/ ٤٠٥) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١) نقلاً عن ابن إسحاق. وانظر الغزوة في:
البداية والنهاية (٣/ ٣٠١ - ٣٠٢). والدرر (ص ٩٣). وسبل الهدى والرشاد (٤/ ١٥).

---

(١) آلى: أقسم وحلف، وقَلَّصت، أي: انْقَبَضَت.

(٢) ينظر: البيتان الأولان من القصيدة في البداية والنهاية (٣/ ٣٠١).

(٣) قال في الروض: ذكر ابنُ هشام استخْلافَ رسول الله - ﷺ - على المدينة السائِبَ بن مظعون، وهو أخو عثمان بن مَظْعُون بن حبيب، ثم قال: وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا فشهد بدراً.. الخ. فاقتضى كلامه أن المستخلَف السائب بن مظعون لا السائب بنُ عثمان بن مظعون، وفيه نظر؛ لأن الموجود في نسخة السِّيرة: السائبُ بن عثمان بن مظعون.

(٤) بُواط - بضم الموحدة وفَتْحها وتَخفيف الواو وبالطاء المهملة -: جبل من جبال جُهينة من ناحية رضوى - بفتح الراء وسكون الصاد المعجمة - جبل بينْبُعَ، بينه وبين المدينة أربعةُ بُرُد.

(٥) أي: لم يلق حرباً ولم يقاتله أحد.

(٦) العُشَيْرة: بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة وسكون التحتية وبالهاء ويقال العسيرة بإهمال السين، وذات العُشَيْرة والعُشَيْر، وهو مَوْضع ببطْن ينْبُع، وهو منزل الحاج المصري.

الطريق الذي سلكه النبي ومواضع نزوله

قال ابن إسحاق: فسلك على نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ، ثم على فَيْفَاء، الْخَبارِ، فنزل تحت شجرة بِبَطْحَاءِ ابنِ أزهر، يقال لها: ذاتُ السَّاق، فَصَلَّى عندها، فَثَمَّ مسجدُهُ ـ ﷺ ـ وصُنِعَ له عندها طعامٌ فأكَلَ منه وأكَلَ الناس معه، فموضع أثَافيِّ الْبُرْمَةِ معلومٌ هنالك، واسْتُقِيَ له مِنْ ماءٍ به يقال له: الْمُشْتَرِبُ.

ثم ارتحل رسولُ الله ـ ﷺ ـ فَتَرَكَ الخلائقَ بيَسَارٍ[1]، وسلك شُعْبَةً[2]، يقال لها: شُعْبَةُ عبد الله، وذلك اسمها اليوم، ثم صَبَّ للسَّادِّ[3] حتى هَبَطَ يَلْيَلَ فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعَةِ، واستقى من بئرٍ بالضَّبُوعَةِ، ثم سلك الْفَرْشَ فَرْشَ مَلَلٍ[4]، حتى لقي الطَّرِيق بصُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثم اعتدَلَ به الطريقُ حتى نزل الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، فأقام بها جُمادى الأولى ولياليَ من جمادى الآخرة، ووادع فيها بني مُدْلِجٍ وحلفاءهم من بني ضَمْرَةَ، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفي تلك الْغَزْوَة قالَ لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ما قال [٤٧٥].

قال ابن إسحاق: فحدَّثني يزيد بن محمَّد بن خَيْثَم الْمُحَارِبيُّ، عن محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ، عن محمد بن خَيْثَمَ أبي يزيد، عن عَمَّارِ بن ياسرٍ، قال: كنتُ أنا وعليُّ بن أبي طالب رفيقَيْنِ في غزوة الْعُشَيْرَةِ، فلما نزلها رسول الله ـ ﷺ ـ وأقام بها رأينا بها أناساً من بني مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ في عَيْنٍ لهم وفي نخلٍ، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا الْيَقْظَانِ، هل لك في أن نأتي هؤلاءِ القَوْمَ فننظر كَيْفَ يعملون؟! قال: قلت: إن شئتَ، قال: فجئناهم، فنظَرْنَا إلى عملهم ساعةً، ثم غَشِيَنَا النومُ، فانطلقتُ أنا وعليٌّ حتى اضطجعنا في

---

[٤٧٥] ذكره الطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦). والبيهقي في الدلائل (٣/ ١١ ـ ١٢). وانظر الطبقات (٢/ ٦ ـ ٧).
وانظر البداية والنهاية (٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣). وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٧).

---

(١) قال أبو عليّ الغسَّانيُّ: الحَلايقُ بالحاء غير معجمة آبارٌ لقُريش والأنصار، والخلايق بالخاء المعجمة، قال أبو عليٍّ البغداديُّ في البارع: الخليقة بالخاء المعجمة البئرُ التي لا ماءَ فيها. قال الشيخ الفقيه أبو ذرٍّ رضي الله عنه: فَحَلايق على هذا هو جَمْعُها والخَلِيقةُ أيضاً: موضعٌ فيه مَزارِعُ ونَخْلٌ وقُصورٌ لِقَوم من آلِ الزُّبَيْر.

(٢) الشُّعْبَةُ: الطريقُ الضَّيِّقُ.

(٣) ثم صبَّ للسَّاد: كذا وقع هنا وصوابه: ثمَّ صَبَّ لِلْيَسار وكذا أصلحه الوَقَشِيُّ.

(٤) مَلَلٍ: موضع على عشرين ميلاً من المدينة أو أكثر قليلاً، يقال: إنما سمي بذلك؛ لأنه لا يصل إليه المسافر إلا بعد جهد وملل.

صَوْرٍ[1] من النَّخْلِ، وفي دَقْعَاءَ[2] من التراب، فنِمْنَا، فوالله ما أَهَبَّنَا[3] إلا رسولُ الله ـ ﷺ ـ يحرِّكنا برجله وقد تَتَرَّبْنَا من تلك الدَّقْعَاءِ التي نِمْنَا فيها، فيومئذ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لعلي بن أبي طالب: «مَالَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ»، لِمَا يُرَىٰ عليه من التراب، ثم قال: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ» قلنا: بَلَىٰ يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يا عَلِيُّ عَلَىٰ هَذِهِ»، ووضع يده على قرنه «حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هٰذِهِ» وأخذ بلحيته [٤٧٦].

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعض أهل العلم أن رسُولَ الله ـ ﷺ ـ إنما سَمَّى عليًّا «أبا تُرَابٍ» أنه كان إِذَا عَتَبَ على فاطمة في شَيْءٍ لم يكلِّمها ولم يَقُلْ لها شيئاً تكرهه، إلا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه/ (١٢٤/أ)، قال: فكان رسولُ الله ـ ﷺ ـ إذا رأَىٰ عليه التُّرَابَ عرف أنه عَاتِبٌ على فاطمة، فيقول: «مَا لَكَ يا أَبَا تُرَابٍ» فالله أعلمُ أيُّ ذلك كان [٤٧٧].

سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبي وقَّاصٍ

قال ابن إسحاق: وقد كان بَعَثَ رسول الله ـ ﷺ ـ فيما بين ذلك مِنْ غَزْوَةِ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ في ثمانية رَهْطٍ من المهاجرينَ؛ فخرج حتى بلغ الْخرَّارِ مِنْ أرض الحجاز، ثم

---

[٤٧٦] رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٣).

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١). والنسائي في الكبرى (٥/ ١٥٣) كتاب الخصائص، باب ذكر أشقى الناس الحديث (٨٥٣٨).

والطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩). والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٢ ـ ١٣) والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٣٥٢) من طريق ابن إسحاق بالسند المذكور.

وفي إسناد محمد بن يزيد بن خثيم المحاربي قال الذهبي في الميزان (٧/ ٢٦٢): تفرد عنه ابن إسحاق.

وقال الحافظ في التقريب (٢/ ٣٧٠) مقبول.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه الزيادة إنما اتفقا على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد ثم أبا تراب» أهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٣٩):

«رواه أحمد والطبراني والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار» أهـ.

[٤٧٧] انظر السابق.

---

(١) الصَّوْرُ: النخل الصِّغارُ.

(٢) الدَّقْعاء: التربة اللَّيِّنة.

(٣) فوالله ما أهبَّنا أي: ما أيْقَظَنا.

رجع ولم يَلْقَ كَيْداً.

قال ابن هشام: ذكر بعضُ أهل العلم أنَّ بَعْثَ سَعْدٍ هذا كان بعد حَمْزَة [٤٧٨].

ذِكْرُ غَزْوَةِ سَفَوَان[١]

وهي غزوة بدر الأولى.

قال ابن إسحاق: ولم يُقِمْ رسولُ الله ـ ﷺ ـ بالمدينة ـ حين قَدِمَ من غزوة العُشَيْرَةِ ـ إلا ليالِيَ قلائلَ لا تَبْلُغُ العشر[٢]، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهريُّ على سَرْحِ المدينة، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ في طلبه، واسْتَعْمَلَ على المدينة زَيْدَ بْنَ حارثة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتَّى بلغ وادياً يقال له سَفَوَانُ من ناحية بَدْرٍ، وفاتَهُ كُرْزُ بْنُ جابر فلم يدركْهُ، وهي غزوة بدر الأولى.

ثم رجع رسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى المدينة، فأقام بها بقية جُمَادَى الآخرة، ورجباً، وشعبان [٤٧٩].

سَرِيَة عَبْدِ الله بن جَحْشٍ، ونُزُولُ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وبَعَثَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ عبد الله بْنَ جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ الأسَدِيَّ في رجب مَقْفَلَهُ من بَدْرٍ الأولى، وبعث معه ثمانية رَهْطٍ من المهاجرين، ليس فيهم من الأَنْصَارِ أَحَدٌ، وكتب له كتاباً، وأمره ألاَّ ينظر فيه حتى يسير يَوْمَيْنِ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أَمَرَهُ به، ولا يَسْتَكْرِهُ من أصحابه

---

[٤٧٨] ذكره البيهقي في الدلائل (٣/ ١٣) وابن سعد في الطبقات (٢/ ٤ ـ ٥) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٠٧) وابن عبد البر في الدرر (ص ٩٦).
وانظر أيضاً سبل الهدى والرشاد (٦/ ١٥ ـ بتحقيقنا).

[٤٧٩] انظر البداية والنهاية (٣/ ٣٠٣).
وتاريخ الطبري (٢/ ٤٠٧) والبيهقي في الدلائل (٣/ ١٣) وانظر الدرر (ص ٩٥).
والطبقات (٢/ ٦).
وانظر سبل الهدى والرشاد (٤/ ١٦ ـ بتحقيقنا).

---

(١) سَفَوان ـ بفتح السين والفاء ـ: وادٍ معروف.

(٢) قال ابنُ حزم: بعدها بعشرة أيام خرج رسول الله ـ ﷺ ـ في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً... من مُهاجَرِه، في إثر كُرْز بن جَابر الفِهْري؛ لإغارته على سَرْح المدينة، وكان يرعى بالجَماء ونواحيها، وحمل لواءه ﷺ عليُّ بن أبي طالب رَضِي الله عنه، وكان أبيضَ؛ واستخلف على المدينة زيدَ بن حارِثة، فطلب ﷺ كُرْزاً حتى بلغ سفوان من ناحِية بدر، فلم يُدركه، فرجع ولم يَلْقَ كيداً.

أحداً، وكان أصحابُ عبدِ الله بن جحش من المهاجرين ثم مِنْ بني عبد شمس بن عبد مناف: أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمس، ومن حلفائهم: عبدُ الله بن جَحْش وهو أميرُ القَوْمِ، وعُكَّاشَةُ بن مِحْصَنِ بن حُرْثَانَ أحدُ بني أَسد بن خُزَيْمَةَ حليفٌ لهم، ومن بني نَوْفَلِ بن عبد مناف: عُتْبَةُ بن غَزْوَان بْنْ جابر حليفٌ لهم، ومن بني زُهْرَةَ بن كِلاَبٍ: سَعْدُ بن أبي وَقَّاص، ومن بني عَدِيِّ بن كعبٍ: عامرُ بن ربيعة حليفٌ لهم من عنز بن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِينِ بن ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوع أحدُ بني تميمٍ حليفٌ لهم، وخالد بن الْبُكَيْرِ أحدُ بني سعد بن لَيْثٍ حليفٌ لهم، ومن بني الحرث بن فهرٍ: سُهَيْلُ بن بَيْضَاءَ.

فلما سار عبدُ الله بن جَحْش يَوْمَيْنِ فَتَحَ الكتابَ، فنظر فيه، فإذا فيه: «إِذَا نَظَرْتَ في كِتَابي هٰذَا، فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشاً وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ» فلما نَظَرَ عبدُ الله بْنُ جحشٍ في الكتابِ قال: سَمْعاً وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن أَمْضِيَ إلى نَخْلَةَ، أَرْصُدُ بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريدُ الشهادَةَ ويرغَبُ فيها فلينطلق، ومَنْ كَرِهَ ذلك فليرجِعْ، فأمَّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ـ ﷺ ـ.

فمضَى ومضَىٰ معه أصحابه لم يتخلَّفْ عنه منهم أحد، وسَلَكَ على الحجاز، حتى إذا كان بِمَعْدِنٍ فوق الْفُرُعِ يقال له: بَحْرَانُ، أضَلَّ سعدُ بن أبي وقَّاص وعتبةُ بن غَزْوَانَ بعيراً لهما كانا يَعْتَقِبانِهِ، فتخلَّفا عليه في طلبه.

ومضَىٰ عبد الله بن جحش، وبقيَّةُ أصحابه حتى نَزَلَ بِنَخْلَةَ فمرَّتْ به عِيرٌ لقريشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وأَدَماً[1] وتجارةً مِنْ تجارة قريشٍ فيها عمْرُو بن الْحَضْرَمِيِّ.

قال ابن هشام: واسمُ الحضرميِّ: عبدُ الله بن عَبَّادٍ[2] (ويقال: مالك بن عباد) أَحَدُ الصَّدِفِ، واسْمُ الصَّدِف: عَمْرُو بن مالك أَحَدُ السَّكُونِ ابن المغيرة بن أَشْرَس بن كِنْدَةَ، ويقال: كِنْدِي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نَوْفَلُ بْنُ عبد الله المخزوميَّانِ، والحَكَمُ بن كَيْسَانَ مولَى هشام بن المغيرة، فلما رآهم القومُ هابوهم، وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف/ (١٢٤/ب) لهم عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ، وكان قد حَلَقَ رأسه، فلما رَأَوْه أَمِنُوا، وقالوا: عُمَّارٌ لا بَأْسَ عليكم منهم، وتشاور القَوْمُ فيهم، وذلك في آخر يَوْمٍ

---

(١) الأَدم: الجُلود واحدها أديمٌ.

(٢) واسمُ الحَضْرَميِّ عبد الله بن عَبَّادٍ: كذا وقع هنا وصَوابه عَبَّاد بدل عَبَّادٍ وقد تقدَّم التنبيه عليه.

من رجبٍ، فقال القوم: واللَّهِ، لئن تركتم القَوْمَ هذه الليلة لَيَدْخُلُنَّ الحرمَ فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به، ولئنْ قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُمْ في الشَّهْرِ الحرام، فتردَّدَ القَوْمُ، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شَجَّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قَتْلِ من قدروا عليه منهم، وأَخْذِ ما معهم، فَرَمَىٰ واقدُ بن عبد الله التميميُّ عَمْرَو بن الحضرميِّ بِسَهْمٍ، فقتله، واستأْسَرَ عثمانَ بْنَ عبدِ اللَّهِ والحَكَمَ بْنَ كَيْسَان، وأفلَتَ القومَ نوفلُ بن عبد الله، فأعجزهم، وأقبل عبدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وأصحابه بالعِيرِ وبالأسيرَيْن حتى قدموا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ـ ﷺ ـ مِمَّا غَنِمْنَا الخُمُسَ، وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم؛ فعزل لرسول الله ـ ﷺ ـ خُمُسَ العِيرِ، وقَسَمَ سائرها بين أصحابه [٤٨٠].

قال ابن إسحاق: فلما قَدِمُوا على رسول الله ـ ﷺ ـ المدينَة، قال: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ في الشَّهْرِ الْحَرَامِ» فوقَفَ العِيرَ والأسيرَيْن، وأبى أن يأخذ مِنْ ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ سُقِطَ في أَيْدي القوم، وظنوا أنهم قد هَلَكُوا، وعَنَّفَهُمْ إخوانهم من المسلمين فيما صَنَعُوا، وقالت قريش: قد استَحَلَّ محمد وأَصحابه الشَّهْرَ الحرام، وسَفَكوا فيه الدمَ، وأخذوا فيه الأموالَ، وأَسَرُوا فيه الرجال، فقال مَنْ يَرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكَّة: إنما أصابوا ما أصابوا في شَعْبَانَ؛ وقالت يهودُ تَفَاءَلُ بذلك على رسول الله ـ ﷺ ـ: «عمرو بن الحضرميِّ قتله واقدُ بْنُ عبد الله: عَمْرٌو: عمرت الحرب، والحضرميُّ: حضرت الحربُ، وواقد بن عبد الله: وَقَدَتِ الْحَرْبُ، فجعل الله عليهم ذلك لا لَهُمْ، فلما أَكْثَرَ الناس في ذلك أنزَلَ الله علىٰ رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن كنتم قَتَلْتُمْ في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مَعَ الكُفْرِ به، وعن المَسْجِدِ الحرام، وإخراجُكُمْ منه وأنتم أهلُهُ أَكْبَرُ عند الله مِنْ قتل مَنْ قتلتم منهم، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: قد كانوا يفتنون المُسْلِمَ في دينه حتى يردُّوهُ إلى الكُفْر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، أي: ثم هم مقيمون على أَخْبَثِ ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين.

---

[٤٨٠] ذكره ابن كثير في البداية (٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

وانظر الطبقات (٢/ ٧) والدرر (ص ٩٥)، وسبل الهدى (٦/ ١٦ ـ ١٩ ـ بتحقيقنا).

والقصة ذكرها البيهقي في الدلائل (٣/ ١٧ ـ ١٩). وابن جرير (٢/ ٤١٠ ـ ٤١٣) من طريق يزيد بن رومان عن عروة مرسلاً، وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد.

فلما نزل القرآنُ بهذا من الأمر وفَرَّجَ الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَقِ[1]، قَبَضَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ الْعِيرَ وَالأَسيرَيْنِ، وبعثت إليه قريشٌ في فداء عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسَانَ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا نُفْدِيكُمُوهُمَا حَتى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا» يعني: سعد بن أبي وقَّاصٍ وعُتْبَةَ بن غَزْوَانَ؛ «فإنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإنْ تَقْتُلُوهُمَا نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ» فَقَدِم سعدٌ وعتبة، فَفَدَاهُمَا رسولُ الله ـ ﷺ ـ منهم؛ فأما الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فأسلَمَ، فَحَسُنَ إسلامه، وأقام عند رسول الله ـ ﷺ ـ حتى قُتِلَ يوم بئر مَعُونَةَ شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلَحِقَ بمكة فمات بها كافراً.

فلما تَجَلَّىٰ عن عبد الله بن جَحْشٍ وأصحابِهِ ما كانوا فيه ـ حين نزل القرآن ـ طَمِعُوا في الأجر/ (١٢٥/أ)، فقالوا: يا رسولَ الله، أَنَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ لنا غَزْوَةٌ نُعْطَى فيها أَجْرَ الْمُجَاهِدِينَ؟! فأنزل الله عزَّوجلَّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ من ذلك على أعظم الرجاء.

والحديثُ في هذا عن الزُّهْرِيِّ ويزيد بْنِ رُومَانَ، عن عروة بن الزبير [٤٨١].

قال ابن إسحاق: وقد ذَكَرَ بعضُ آل عبد الله بن جَحْشٍ أن الله عزَّ وجلَّ قَسَمَ الْفَيءَ ـ حين أحلَّهُ ـ فجعل أربعة أخماسه لمن أفاءه، وخُمُسَهُ إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبدُ اللَّهِ بْنُ جحش صنع في تلك الْعِيرِ [٤٨٢].

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غَنِمَهَا المسلمون، وعَمْرُو بن الحضرميّ أول من قتله المسلمون، وعثمانُ بن عبد الله والْحَكَمُ بن كَيْسان أولُ من أسَرَ المسلمونَ.

كلمة تنسب لأبي بكر الصديق أو لعبد الله بن جحش

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في غزوة عَبْدِ الله بن جَحْشٍ، ويقال: بَلْ عَبْدُ الله بن جحش قالها حين قالَتْ قريش: قد أَحَلَّ محمدٌ وأصحابه الشَّهْرَ الحَرَامَ: فسفكوا فيه الدَّمَ، وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال.

قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش [من الطويل]:

---

[٤٨١] انظر السابق.

[٤٨٢] انظر السابق.

---

(١) الشفق هنا: الخوف.

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً ... وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَائِدُ

صُدُودُكُمُ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وَكُفْرٌ بِهِ، وَاللَّهُ رَاءٍ وَشَاهِدُ

وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ ... لِئَلاَّ يُرَىٰ لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ

فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَفَ بِالإِسْلاَمِ بَاغٍ وَحَاسِدُ

سَقَيْنَا مِنَ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحُنَا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ

دَماً. وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عُثْمَانُ بَيْنَنَا ... يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ[1]

تارِيخُ الْقِبْلَةِ

قال ابن إسحاق: ويقال: صُرِفَتِ القبلةُ في شعبان على رَأْسِ ثمانيةَ عشر شهراً من مَقْدَمِ رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة [٤٨٣].

---

[٤٨٣] انظر تاريخ الطبري (٢/٤١٦)، والدرر (ص ١٠٠) والبداية والنهاية (٣/٣٠٨).

---

(١) القِدُّ: شَرْكٌ يُقْطَع من الجلْد، وعاند، معناه: سائل بالدم لا ينقطع. ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٠٨).